

الفاصلة في القرآن الكريم

للكاتب عبد الفتاح العيسوي

الفاصلة في الآيات القرآنية تأتي مستقرة في أماكنها ، مطمئنة في مواضعها ، غير قلقة ولا تافرة ، يتعلق معناها بمعنى الآية كلها ، بحيث لو طرحت لاختل المعنى ، فهي في مكانها جزء من معنى الآية ، ولقد يشتد تمكن الفاصلة في مكانها ، ويطلقها موضعها حتى أن السامع يشعر بها قبل لفظها ، واليك أيها القارئ طرفا من الحديث عنها .

القرآن حين نزوله :

القرآن الكريم نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بضع وعشرين سنة ، قضى منها عشرة في مكة ، والباقي في المدينة ، فكان من القرآن الكريم سور مكية ، وأكثرها قصار ، وعددها ست وثمانون ، وأخرى مدنية ، وعددها ثمان وعشرون (١) .

والسور المكية نزلت في بدء الدعوة ، ولما كانت جماعة المشركين متمسكين لأديانهم ، وعاداتهم وتقاليدهم ، وفي أخلاقهم جفوة ، وفي السننهم خصومة ، اتجهت السور المكية في خطابهم إلى الوجدان والمشاورة ، تنسوا عليهم بالزجر والتسفيه ، والوعيد والتهديد ، والترغيب والترهيب ، والتشجيع والالئاز ، في أسلوب شديد الأثر ، حاد قوي ، متتابع السجعات الرنانة ، والفواصل المدوية القصيرة (٢) .

وليس معنى هذا أن القرآن المدني تغلو آياته من السجع ، لكن الغالب عليها الاسترسال ، والهدوء ، وطول النفس ، لأنها تغايب عقول قوم آمنوا بها ، وأطاعوا إلى هدايتها ، فهي مسوقة لتقرير المبادئ ، وبيان الأحكام ، ومن القوانين ، وتنظيم المجتمع ، وتهذيب الطباع والأخلاق ، فإن لم تنته بالسجعات ، انتهت بقواصل متضاربة في حروف الروى .

وأكثر ما تكون القواصل تماثلا في حروف الروى في الآيات الملكية ، كما نرى ذلك في قوله تعالى : « والنجم اذا هوى » ماضل صاحبكم وماغوى ، وماينطق من الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالالفق الأهل ، (النجم ١ - ٧) .

وقد تكون القواصل متقاربة ، كما في قوله تعالى : « حم ، والكتاب المبين ، انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم ، أمرا من عندنا انا كنا مرسلين ، رحمة ربك انه هو السميع العليم » (الدخان ١ - ٦) .

فالهم والنون حرفان متقاربان في المخرج اللفظي ، وأكثر ما تكون القواصل تقاربا في الآيات المدنية .

فالفقر في الآيات السابقة رقيقة النغم ، خفيفة الروح ، موجزة اللفظ ، وافية المعنى فيها وزن ، ورئين .

بعد جاء القرآن الكريم بأسهل موقف ، وأعذب مقطع ، وكثر فيه ختم كلمة المقطع من الفاصلة ، بحروف المد واللين والحاق النون ، فيمكن القارئ الذواق من التطريب ، وهذا يتفق مع ما كان يسيل إليه العرب قديما ، قال سيبويه (٣) : « ان العرب اذا تروثوا يلحقون الألف والياء والنون لأنهم أرادوا مد الصوت ، ويتركون ذلك اذا لم يترثوا » .

والسور التي جاءت فواصلها كلها على حرف واحد ليست قليلة :

فمن ذلك سورة الكهف ، والفتح ، والانسان ، والأمل ، والشمس ،
والليل ، فإن فواصلها كلها جاءت على حرف الألف .

ومن ذلك سور : القدر ، والقدر ، والكثير ، فإن فواصلها كلها
جاءت على حرف الراء .

وأما سورة الاسراء ، والفرقان ، والأحزاب ، فإن فواصلها كلها ،
وان جاءت على الألف ، فإن كل واحدة منها قد جاءت فيها فاصلة على غير
الألف ، وهي اراء في (الاسراء) وذلك في قوله تعالى : « انه هو السميع
البصير » ، واللام في (الفرقان ١٧) في قوله تعالى : « أم هم ضلوا
السييل » ، واللام في (الأحزاب ٤) في قوله تعالى : « والله يقول الحق وهو
يهدي السبيل » .

ومن ذلك سورة المشافقين ، فإن فواصلها كلها جاءت على حرف النون ،
كذلك سورة القيل فإن فواصلها كلها جاءت على حرف اللام ، وكذلك سورة
الناس ، فإن فواصلها كلها جاءت على حرف السين .

وقد كثر مجيء الفواصل على بعض الأحرف كالتون ، وقل مجيئها على
بعض الأحرف كالشين .

وقد يكون القرآن غالباً من المقاطع في بعض الآيات ، لكنه لا ينزل
في وزنه ونفسه عن مستواه الأعلى ، ومن ذلك كثير من آيات الأحكام ، مثل
آية المواريث :

« يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ، فإن كن نساء
فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك » ، وإن كانت واحدة فلها النصف ، ولأبويه لكل
واحد منهما الثلث ما ترك » . الآية (١١ ، ١٢ من النساء) فهاتان
الآيتان مع أنهما يعدان من الآيات الطوال إذ يبلغ حجمها في المصحف أكثر
من اثني عشر سطراً ، ومع ذلك فليس فيها الا مقطعين لا يعدان فواصل
متقاربة ولا متماثلة ، وإنما هو كلام الله المنشور ، فالتنم متاع والمساكن
متلافة ، والألفاظ متجانسة ، مع بيان واضح للأحكام ، وتفصيل كامل
للتشريع ، وعلى الرغم من ذلك ، فلم ينزل بمرتبة الكلام كثرة ذكر
الأرقام ، بل بقي على سمة العلو ، وظل في الطبقة العليا من الكلام ، مع
في الآية من أرقام الحساب ، والكسور التي تدعو إلى الجفاء في العبارة .

الفاصلة والسجع :

تقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب ، لتعسين الكلام بها ، وهي الطريقة التي يبين بها القرآن سائر الكلام ، وأسميت فواصلًا ، لأنه ينفصل عندها الكلامان ، حيث أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ، ولعل هذا أخذ من قوله تعالى : « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » (هود ١) .

ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعاً من العلماء ، لأن الله تعالى لما سلب عنه اسم الشعر ، وجب سلب القافية عنه أيضاً لأنها منه ، وكما يمتنع استعمال القافية فيه ، يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر ، إذ أنها صفة لكتاب الله تعالى لا تتعداه .

والفاصلة تكون مقاطع الكلام فيها متقاربة في الحروف كالتون والمعيم في قوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين » (الفاتحة ٢ - ٤) .

أما السجع : فتكون مقاطع الكلام فيه متحدة في الحروف .

وعلى هذا فالواصل أهم من السجع ، فهي أما سجع تتحد فيه حروف المقاطع ، أو مجرد فواصل تتقارب فيها حروف المقاطع ، وهذا هو ما اتجه إليه ابن سنان الخفاجي ، حيث يقول (٤) :

« الفواصل على ضربين : ضرب يكون سجعاً ، وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع ، وضرب لا يكون سجعاً وهو ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل » .

ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين - أعني التماثل والتقارب - من أن يأتي طوعاً سهلاً وتأييماً للمعاني ، وبالعقد من ذلك ، حتى يكون متكلفاً يتبعه المعنى ، فإن كان من القسم الأول فهو المصنوع الدال على الفصاحة وحسن البيان ، وإن كان من الثاني فهو مذموم مرفوض .

فإن سنان يرى - كما يدل عليه النص - أنه ليس كل فاصلة تكون الألفاظ فيها تأييداً للمعنى ، فيكون الحسن والقبح ، وليس كل سجع تكون المعاني فيه تأييداً للألفاظ فيكون التكلف حاصلاً ، بل التعميم في الحسن في الفاصلة ، والقيح في السجع ، هو الخطأ - إلا أن فواصل القرآن كلها من البليغ ، والألفاظ فيها لمعانيه .

ثم أورد ابن سنان شواهد من الفواصل المتماثلة والمتقاربة في القرآن ، فقال : فمن المتماثلة قوله تعالى : « والطور » ، وكتاب مسطور ، في رق منشور ، والبيت المعمور » (الطور ١ - ٤) ، وقوله تعالى : « طه » ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، إلا تذكرة لمن يخشى ، تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى ، الرحمن على العرش استوى » (طه ١ - ٥) .

ويستمر في ضرب الشواهد من القرآن ، ثم يقول معقبا عليها :

« وهذا جائز أن يسمى سجما ، لأن فيه معنى السجع ، ولا مانع من الشرع يمنع من ذلك » .

ثم يستشهد على التقارب بقوله تعالى : ق ، والقرآن المجيد ، بل عجبوا أن جاءهم تنذرتهم ، فقال الكافرون هذا شيء عجيب » (ق ١ - ٢) ، وهذا لا يسمى سجما ، لأن السجع ما كانت حروفه متماثلة .

فالمقاطع ليست متحدة في الحروف ، بل بينهما تقارب في المخرج ، ف [الدال والباء] مغارجها متقاربة ، ولا تفرق بينهما في النطق ، وكذلك حرف الميم قبل الحرف الأخير من كل مقطع ، وهو [الباء والواو] (هـ) ، ولهذا كان التقارب بينا ، يجعل نسق القول واحدا ، وإن لم تتحد المقاطع ، وهذا مما جعل كلام الله تعالى فوق كل مثال » .

في القرآن سجع أم فواصل ؟

المسلم به أن القرآن الكريم فيه فواصل ، قد تتحد فيها حروف المقاطع كما في قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانتشق القرع » ، وإن بدوا آية يرضوا ويقولوا سحر مستمر ، وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ، ولقد جاءهم من الأتباع ما فيه مزدجر ، حكمة بالغة فما تنفي النذر .. » ، وجميع هذه السورة على هذا الازدواج ، فهل يسمى هذا ، وأمثاله كثير في القرآن - سجما ؟ .

اختلاف وجهة نظر العلماء :

اختلفت آراء علماء البلاغة في القديم ، فيما جاء في كتاب الله تعالى من الفواصل ، هل يسمى ذلك سجما ؟ .

رأي الرماني :

رأى الرماني . أن القواصل : حروف متشاكلة في المقاطع ، توجب حسن الالهام في المعاني ، ووصف القواصل بالبلغة ، والأسجاع بالمعيب ، وعطى ذلك بقوله (٦) :

« أن القواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها ، وهو قلب ماتوجه الحكمة في الدلالة إذ الغرض إنما هو الإبانة عن المعاني التي إليها الحاجة ماسة ، فإذا كانت المتشاكلة موصلة إليه فهو بلاغة ، وإذا كانت متشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولكنه ، لأنه تكلف من غير الوجه الذي توجب الحكمة ، ومثله مثل من رصع تاجاً ثم لبسه زنجياً ساقطاً ، ونظم قلاوة ثم لبسها كلباً ، وقبح ذلك وعيبه بين لمن له أدنى فهم » .

ثم يستل السجع بقول الكهان ، فيقول :

« فمن ذلك ما يحكي عن بعض الكهان : « والأرض والسما ، والغراب الواقعة بنقمام ، لقد هر المجد إلى العشرام » .

وهكذا نجد الرماني يفرق بين الفاصلة والسجع في الجواز ، فالفاصلة بلاغة ، والسجع عيب ، والقواصل : الفاطها تتبع المعاني ، والسجع : اتحدت حروفه دون نظر إلى المعنى ، والقرآن في نظره يمسو أن يكون سجعاً .

ولعل الحكمة في نظريته تلك إلى السجع أن ذلك كان مبنياً على أساس ما أمامه سجع الكهان ، ومأخذه من الغرابة والشيخ الذي لا يقبل جدالاً ، والأمن السجع مما يزيد المعنى قوة ، وتكون الفاطه تابعة لمعانيه ، وبسمل قبوله ، ويحيى عسلاً من حوامل التاكيد .

رأي الباقلائي :

وافق الباقلائي الرماني في انكار السجع في القرآن الكريم ، ووصف ما ادعاء الآخرون بوجوده في القرآن ، وما ساقوه من أدلة بأنها وهم ، فقال (٧) :

« والذين يقدرون بأنه سجع هو وهم ، لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع ، وأن لم يكن سجعاً ، لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض

الوجود دون بعض . لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع . وليس كذلك ما اتفق ساء هو في تقدير السجع من القرآن . لأن اللفظ يتبع فيه تابعاً للمعنى .

فالبالغاني . ومن تبعه من الأتباع . لا يذكرون للسجع إلا من خلال هذه الصورة الثابتة من صور البيان . وهي أن يكون اللفظ فيها مقسماً على المعنى .

والذي دفع البالغاني إلى هذا هو تشبيه السجع بالشعر . فالشعر تقصد فيه القوافي المتعددة في الألفاظ . ثم يكيف المعنى على الألفاظ لتستقيم القافية . ولما كان الشعر متباً من القرآن . فكذلك السجع الذي يتبع منهجه . وتجيء المعاني فيه تابعة للألفاظ . وأن الله تعالى عندما استنكر أن يكون القرآن قول شاعر . أو كاهن في قوله تعالى : « انه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر . قليلاً ما يؤمنون . ولا يقول كاهن قليلاً ما تذكرون » (الحاقة ٤٠-٤٢) . فقد أدخل السجع في التنبي . وهو السجع الذي يكون المقصد الأول فيه اللفظ .

أبو هلال العسكري :

لكننا نجد اتجاهاً آخر من العلماء . يثبت السجع في القرآن . وإن كان السجع في القرآن أهل مما يستطيع البشر أن يزاووه .

ومن هؤلاء أبو هلال العسكري . فقد قال : (أ)

« وجميع ما في القرآن مما يجري من التسجيع والازدواج متعالف في تمكين المعنى . وصفاء اللفظ . وتضمن العلو . لما يجري مجراه من كلام الخلق . ألا ترى قوله تعالى : « والماديات ضيحا . فالغوريات قدحا . فالغمرات صيحا . فأثرن به نقعا . فوسطن به جمعا » (الماديات ١ - ٥) قد بان من جميع أقسامهم الجارية هذا المجرى من مثل قول الكاهن : « والسمام والأرض . والقرض والقرض . والفرس والبرص » ؟ . ومثل هذا من السجع المندوم . لما فيه من التكلف والتعسف .

ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لرجل قال : « أئدى من لا شرب ولا أكل . ولا صاح فاستهل . فمثل ذلك ذمه يطل . أسجما كسجيع الكهان ؟ . لأن التكلف في سجعهم غاش . ولو كرهه - عليه السلام - لكونه سجعاً لقال : أسجما ؟ . ثم سكنت .

وكيفه يلزمه . ويكرهه . وإذا سلم من التكلف . ويرى من التمسك . لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه . وقد جرى عليه كثير من كلامه - عليه السلام - ؟ .

فأبو هلال يخالف الرماني والباقلاني في أن السجع كله مذموم . بل أن منه المذموم الذي يظهر فيه التكلف . ومنه ما هو حسن الموضع . ولا مانع من أن يقع في القرآن . ولكنه في أعلى مراتب الكلام . بحيث لا يمكن أن يجاريه أو يدانيه أحد .

ابن سنان :

وابن سنان يسمى ما في القرآن من المقاطع المتماثلة سجعاً . إلا أنه من السمو والعلو بحيث لا يستطيع أحد من البشر أن يسمو سموه . ويسوق نصوصاً من القرآن كثيرة منها : « طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى . الرحمن على العرش استوى . له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى » (طه ١ - ٦) .

ويتكلم ابن سنان عن البواعث التي دفعت المتكررين وجود السجع في القرآن . فيحمد لهم تلك البواعث . مع الثبات على مخالفتهم . فيقول : (٩)

« وأظن أن الذي دعا أصحابنا إلى تسمية كل ما في القرآن قوافلاً . ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعاً . رغبة في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة . وغيرهم . وهذا غرض في التسمية قريب » .

فأما الحقيقة فما ذكرناه . لأنه لا فرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره في كونه مسجوعاً وبين مشاركة جميعه في كونه عرساً . وصوتاً . وحروفاً . وكلاماً . وعربياً . ومؤلفاً . وهذا مما لا يخفى فيحتاج إلى زيادة في البيان . ولا فرق بين القوافل التي تتماثل حروفها في المقاطع وبين السجع » .

ثم يقول رداً على منترض :

فإذا قال قائل : إذا كان عندكم أن السجع محمود . فهلا ورد القرآن كله مسجوعاً . وما الوجه في ورود بعضه مسجوعاً وبعضه غير مسجوع ؟ .

قيل : ان القرآن أنزل بلفظ العرب ، وعلى عرفهم وعادتهم . وكان
 الفصحح في كلامهم لا يكون كله مسجوعا . لما في ذلك من أسرار التكلف ،
 والاستكراه والتصنع ، لا سيما فيما يطول من الكلام ، فلم يرد مسجوعا جريا
 به على عرفهم في الطبقة العالية من كلامهم ، ولم يخل من السجع . لأنه يحسن
 في بعض الكلام على الصفة التي قسناها . وعليها ورد في فصح كلامهم .
 فلم يجوز أن يكون عاليا في الفصاحة وقد أغل فيه بشرط من شروطها . فهذا
 هو السبب في ورود القرآن مسجوعا وغير مسجوع .

لتصريف القول في القرآن . فيأتي بالسجع أحيانا . أو بالفواصل المتقاربة
 حروفها في المقاطع أحيانا . أو إطلاق الألفاظ في القرآن من غير مقاطع . مع
 وجود ذلك كله في أعلى درجات البلاغة . كان لحكمة سانية . وشر لطيف . وهو
 التصريف في القول . يقول تعالى : « ولقد صرفناه للناس في هذا القرآن من
 كل مثل » (الاسراء ٨٩) .

داعي ابن الأثير :

استنكر ابن الأثير قول من يذمون السجع . كما استنكر القول من العلماء
 الذي لا يسمون ما في القرآن من اتحاد المقاطع سجعا . يقول : (١٠)

« وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة . ولا أرى لذلك
 وجها . فلو كان مذموما لما ورد في القرآن الكريم . فإنه قد أتى منه بالكثير .
 حتى انه ليؤتى بالسورة كلها مسجوعة . كسورة الرحمن . وسورة القمر .
 وغيرها » .

فلتبنتون للسجع في القرآن - أبو هلال . وابن مسكان . ابن الأثير -
 يعتمدون على ما وجدونه فيه من اتحاد في المقاطع . ومع ذلك فهو في القرآن
 أعلى من كلام البشر . وليس على شاكلته كلام آخر .

وعلى ضوء ما تقدم نرى أن هناك خلافا بين الرماني . والياقلائي .
 ومن تبعهم من جهة . وبين أبي هلال . وابن مسكان . وابن الأثير . ومن تبعهم
 في جهة نظرهم من جهة أخرى . فهؤلاء يقولون في السجع : انه اتحدت فيه
 الفاظ المقاطع . سواء أكان المعنى هو المقصود . وجاء الاتحاد تحسينا للقول .
 أم كان المقصد هو اللفظ واتحاد الفاظ المقاطع هو المقصود . وفي الأول يكون
 السجع محمودا . وفي الثاني لا يكون لائقا بالقرآن الكريم .

أما الرماني والبالقاني ، وبقية الأشاعرة ، فانهم لا يرون السجع
إلا في هذه الصورة القائمة من صور البيان التي فيها يكون اللفظ مقدما
على المعنى .

فإن هذا الاختلاف قائم على الاختلاف في الاصطلاح على تسمية السجع ،
فمن يفسره بأنه الاتعاد في حروف المقاطع من غير أن يكون المعنى تائها للفظ
يحكم بأن القرآن الكريم فيه سجع ، لكنه فوق قدرة البشر ، ومن يقول :
بأن السجع كالشعر يكون المعنى فيه تائها لأوزان القافية يكون القرآن
منزها عنه .

وبذلك يكون الطرفان على اتفاق تام على تقديس القرآن ، وتنزيهه
عن أن يكون مشابها للكلام البشر ، وإن كان من جنسه وحروفه .

القواصل تبني على الوقف :

القواصل موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز ، مولوفا عليها ، لأن
الغرض أن يزاوج بينها ، ولا يتم ذلك في كل صورة إلا بالوقف والبناء
على السكون ، لقولهم : « ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هو آت » ، فلو اعتبرت
الحركة لفات السجع ، لأن التام من [فات] مفتوحة ، ومن [آت] مكسورة
منونة ، وهذا غير جائز في حرف القواي ، ولا يتحقق فيه التزاوج بين
القواصل (١١) .

ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور ، وبالعكس ، وكذا المفتوح
والمتنصب غير المنون ومنه قوله تعالى : « أنا خلقناكم من طين لازب » -
يجر [لازب] ، مع تقدم قوله : « ولهم عذاب وأصيب » ، وشهاب ثاقب » -
يرفع [وأصيب وثاقب] ، والآيات على ترتيب المصحف هكذا :

« أنا زيننا السماء الدنيا بزيينة الكواكب ، وحفظنا من كل شيطان
مارد ، لا يسمعون إلى الملائ الأعلى ويقذفون من كل جانب ، دحورا ولهم عذاب
وأصيب ، إلا من غطى الغطفة فاتبعه شهاب ثاقب ، فاستفتحهم أم أشد خلقا
أم من خلقنا أنا خلقناهم من طين لازب » (الصافات - ٦) .

وكذلك قوله تعالى في قصة نوح - عليه السلام - : « ففتحنا أبواب
السماء بسام منهمر ، وفجرنا الأرض ميوونا فالتقى الماء على أمر قد قدر »
(القمر ١١ ، ١٢) جبر [منهمر] وبنام [قدر] على الفتح .

وكذلك قوله تعالى : « وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له » وما لهم من دونه من وال ، هو الذي يريكم البريق خوفا وطعما ، ويشبه السحاب الشفال (العدد ١١ ، ١٢) - بحر [وال] - ونصب [الشفال] .

ويقول صاحب الرهان : وكلام السكاكي (١٢) يشتر بأنه يشترط في السمع موافقة في الاعراب لما قبله على تقدير عدم الوقوف عليه ، كما يشترط ذلك في الشعر .

ثم يضيف مذهب اليه السكاكي ، فيقول :

« والاصواب أن ذلك ليس بشرط ، لما سبق ، ولا شك أن كلمة [الأسجاع] موصوعة على أن تكون ساكنة الأفعال ، موقوفا عليها ، لأن المرص المجاسة بين القرائن والمراوغة ولا يتم إلا بالوقف ، ولو وصلت لم يكن بد من إجراء كل القرائن عن ما يقتضيه حكم الاعراب ، فمطلت عمل الساجع ، وفوت عرضهم » .

وإذا رأيتمهم يخرجون الكلمة عن أوصافها لمرص الإدراج ، فيقولون : نيتك بالفدايا والمعاشيا ، مع أن فيه ارتكازا كـ يعالف النعم ، فما ظنك بهم في ذلك ؟ (١٣) .

تقسيم الفواصل :

قسم البلاغيون (١٤) الفواصل إلى متوار ، مطرف ، ومتوار .

فالمتواري - وهو أشرفها - أن تتفق الكلمتان في الوزن وحرف الروي . كقوله تعالى في ميم أهل الجنة : فيها مرد مرعوعة ، وأكواب موصوعة . (دُعاشية ١٣ ، ١٤) وقوله تعالى في المسيح - عليه السلام - : ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل . ورسولا إلى بني إسرائيل . (آل عمران ٤٨ ، ٤٩) .

والمطرف أن تتفق الكلمتان في حرف الروي - لا في الوزن ، كقوله تعالى حكاية عن نوح - عليه السلام - يحاطب قومه . سالكم لا ترجون قه وقارا ، وقد خلقكم أطوارا . (نوح ١٢ ، ١٣) .

والمتوار أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط . كقوله تعالى في ميم أهل الجنة : وسارق مصوفة ورابي مشوثة . (الفاشية ١٥ ، ١٦) ، وقوله تعالى يحاطب الرسول عليه السلام . فاصبر صبيرا جميلا . انهم يروته

بعيدا ، وراء قرية ، يوم تكون السماء كاللؤلؤ ، وتكون الجبال كاللبن ،
 (المارج ٥ - ٩) وقوله تعالى في قصة موسى وهارون ، وأتيناها
 الكتاب لنتبي ، وعدناهما العرش المستقيم ، الصافات ١١٧ ، ١١٨)
 فلفظ [الكتاب] و [العرش] متواربان ، ولفظ [المستقيم] والمتنبي
 متوازنان .

وقد تكرر المتوازن في سورة (الشورى ١٦ - ٢٢) في سبع آيات
 متواصلة في قوله تعالى ، والذين يهاجرون في الله من بعدما استجب له ،
 حجتهم داخنة عند ربهم وعليهم نصب ولهم عذاب شديد - - - ، فجميع
 فواصلها بين (شديد ، قرية ، بعيد ، هزير ، نصيب ، اليم ، كبير) على
 هذا الترتيب ، وهو في القرآن كثير ، وبخاصة في قصص انفصل .

وأحسن السجع ما تساوت قرائنه ليكون شيئا بالشمس فإن أبياته
 متساوية ، كقوله تعالى في معية أصحاب اليمين ، في سدر مخضود ، وسطح
 منضود ، وظل ممدود ، (الواقعة ٢٨ - ٣٠) .

ثم ما طالت قريته الثانية ، كقوله تعالى ، والجم اذا هوى ، ما صل
 صاحبكم وسعوى ، (الجم ١ - ٢) ، او الثالثة ، كقوله تعالى ، حدود
 معلومة ، ثم الجحيم صلوه ، ثم في سلسلة درعها سبعون ذراعا فاستكوه ،
 (المائدة ٣٠ - ٣٢) .

وقد عمل العلماء عمل حسن حول القرينة الثانية من الأولى بتعليل
 مبني ، فراحوا به بين علم النفس واللاعلة يتناول صاحب هروس
 الأفراس (١٥)

• ان السجع ألف الانتهاء الى غاية في نهاية السجعة الأولى ، فلا ريد
 عليها ، نقل عنها الراشد ، لأنه يكون عند وصولها الى مقدار الأولى ، كس
 يتوقع الطهر بمقصوده من فهم المراد له ، ولم يجد أمابه ، .

وقال امر ، واصح أن العقل يقدر القوة اللزمنة لادراك المقاطع ،
 فإذا راد المتكلم أو مقص أو غير في مقطع من مألوف حيثه ، تمثرت به أد
 لسامع وشق عليها ذلك ، كس يسر في سهل مستو على غير اشتاء ، فإن
 أقل خلل في الطريق من ارتناع أو انحصار أو اعتراض حبر - بخلاف
 ما هو مقرر في ذهنه - يوجب حثارة وتأليه ، .

وقال ثالث : « دقات الساعة المتوالية ، حين تبدأ أو تنتكر بعينها الساع ، ولما كان تكرار الدقات ينبع نظاما ميبا ، فإن الساع يتوقع أن تتكرر الدقات بذلك النمط نفسه في المستقبل وقد يكون هذا التوقع أو الانتظار شعوريا ، وقد يحتل شبه الشعور » .

دليل ذلك أنه إذا توقعت الساعة من العمل كان توقعها سببا في لغت نظرك اليها ، والبحث عن أسباب توقعها ، ومعنى ذلك أن حدوث الأشياء بنظام مغاير لما يتوقع يحدث في انمساك شئ من الدهشة والاضطراب ، وهذا هو عيب العميل المسمي « يحدث من ارتياح عند الاستماع الى الموسيقى الصوتية المسجلة ، أو الى الشعر المورود ، وإلى الشعر المسجوع أو العاصع لنظام معين في توالي الكلمات ، وسرد العبارات » .

والعاصلة إما أن تكون قصيدة كقولته تعالى : « والمرسلات هرفا فالعاصمات عصما » (المرسلات ١ - ٢) ، أو طروية ، كقولته تعالى في غرزة بدر : « اد يريكم الله في سبات قليلا ، ولو أراكم كثيرا لعشتم وتشتارتم في الأمر ، ولكن الله سم ، انه عليم بذات الصدور ، واد يريكمهم اد التقيم في أميكم قليلا ، ويثلكم في أميهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا ، وإلى الله ترجع الأمور » (الأنفال ٤٣ ، ٤٤) .

أو متوسطة ، كقولته تعالى : « اقتربت الساعة واشتق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » (القمر ١ - ٢) .

خروج نظم الآية عن المألوف بسبب الفاصلة :

العاصمة لها أثر في سق الكلام ، وأعداد المقاطع يجعل موقعه حسا في السوس ، وتؤثر فيه تأثير لا ينكر ، وتساب الأروى ، وتماثل الحروف ، مما يربح الساع ، ويحبب انتباهه .

ولهذا الأثر العمال الذي تتركه العاصلة في السوس قد يعدل نظم الكلام في المراد وتخرج الآية عن المعتاد والمألوف بسببها ومن هذا التصديق

١ - زيادة حرف (الألف ، وهاء السكت ، ولعل) لأجل الفاصلة (١٧) :

فزيادة الألف كقولته تعالى في وصف حال المسلمين في غرزة الأحزاب

• اد جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم • واد راعت الأبهـار • وبلغت
للقوب الحاجر • وتظنون بانـ الطوسا • هـالك ابـتـي المؤسـون ورتلوا
زلزالا شديدا • (الأحزاب ١٠ ، ١١) •

فقد الحقت [الآل] ب [الظنون] • لأن مقاطع فواصل هذه البوردة
لغات مستفهم من شويين في الوقف • فريدت على البور الف لتتأوى المقاطع •
وتتأهب نهايات الفواصل •

ومثله من سورة سمها قوله تعالى في غاب الكمار • يوم تنف
وجوههم في النار يقولون يا أيا أعلما انـ واحما المرولا وقالوا ربما
اما احما سادسا وكمراما فاصفونا السلا • (الأعراب ٦٦ - ٦٧) •

وريادة هاء استكت للملحة بياء المتكلم مثل [ماهي] في قوله تعالى
في وصف جهنم • وان من حبب مواريه دمه عادية • وما ادراك ما هي •
نار حامية • (القارة ٩ - ١١) •

ومثلها الهاء للملحة بياء المتكلم في [كتابيه وحسابيه] في قوله تعالى
• فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقراؤ كتابه اسي طست
اسي ملان حسابيه فهو في عيشة راضيه • (العاقبة ١٩ - ٢١) •

فهذه [لهاء] التي ريدت في [ماهي] في اية القارعة • وفي
[كتابيه وحسابيه] في اية العاقبة • عدلت مقاطع المواصل في سورتي
القارعة والعاقبة • وكان لمعالها تأثير عظيم في فصاحة ووقع لطيف على
مجرى السمع

وقد غاب وجه هذا الحس • وروعة هذه الهاء على بعض العلماء •
فمايوها • والعيه فيهم

وانتجم تستنصر الابصار رؤيته

والذنب للطرف • لا للنجيم في الصفر

• أشد رجل من أهل المدينة أب عمرو من الغلاء قول عد ث س قس
الرقيمات •

ان الصوائث بالمدينة قد

اوجعتني • وقرعت مروتيه

فدسهر أبو عمرو . وقال مائلا ولهذا لشعر الرحو ان هذه الهام
لم توجد في شيء من الكلام الا أثرته .

فقال له الديلمي قانتك انت . ما أجهلك بكلام العرب قال الله
عز وجل . ما أغنى عني مالي . حيث هي سبطابه . (العاقبة ٢٨ ، ٢٩) .
وقال . يا ليتني لم أرب كتابيه . ولم أدر ما حسابيه . (العاقبة ٢٥ ، ٢٦)
فانكسر أبو عمرو انكسارا شديدا .

واشد عند الله من قيس الرقيات هذا الشعر لعبد الملك بن مروان
فقال حسب يا امرئ ليس لولا أنت حيث قافيت فقال يا أمير المؤمنين
ماعدوت قول الله عز وجل في كتابه . ما أغنى عني ماليه . ملك عني
سلطابه . فقال عند الملك . أنت في هذا أشعر منك في شعري . (١٨) .

واما ربه [نعل] فكقوله تعالى . يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع
سقات سائر يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات صبر وأخر يابسات نعلي
أرجع الى الناس لنعلمهم يعلمون . (يوسف ٤٦) فقد كبر [نعل] مراعاة
بما وصل الآية . ولو جاء من الأصل لقال [نعلي أرجع الى السبعين
فيعلموا] يظن [النون] حل الجواب .

٢ - ثانيث ما أصله أن يذكر للفاصلة (١٩) :

هذا معنى يكاد يكون واحدا . الا أن الشعر القرآني ملك فيه ملكا
فريدا . جاء لحبر المقاضع وسحافة على وجود العاصلة يقول تعالى في
وصف المتكبرين حين فرارهم من الدعوة . كذهم حسر مستمرة قرب من
قسوة بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صفحا مشرة كلا بل لا يحاقون
لاحرة كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره . وما يدكرون الا ان يشاء الله
هو أهل التقوى وأهل المغفرة . (المدثر ٥٠ - ٥٦) .

ويقول في سورة الانسان : : ان هذه تذكرة . فمن شاء اتخذ الى ربه
سبيلا . وما تشاءون الا أن يشاء الله . ان الله كان عليما حكيما .
(الانسان ٢٩ ، ٣٠) .

فلماذا اختلقت الفاصلة في هاتين السورتين . ان هذه تذكرة . فمن
شاء اتخذ الى ربه سبيلا . وقوله : : كلا انها تذكرة . فمن شاء ذكره . مع
ان معناهما واحد .

ولمّا كانت [الهاء] في [ذكره] ، وهي مذكّر ، وتعود على مؤنث ، وهي [تذكره] ، اختلعت المواصل في حدين الموصفين للملازمة الفواصل في كل من السورتين ، فلما كانت فواصل بعض الآيات في سورة المدثر [هاء] كما في [سمنرة ، قسورة ، مشرة ، تذكره ، ذكره] ، عادت [الهاء] في [ذكره] وهو صمير مذكّر الى مؤنث - وهي التذكّرة - إذ هو بمعناها فكلاهما مصدر ، (يقول ذكرث تذكريا وتذكّرة مثل قدمت تقدّمتها وتقدّسه) ، فكان هذا التمهيد في نهاية الكلمة لتتناول الفواصل -

وإن ، فمن شاء اتعد الى ربه سبيلا ، وإن كان بمعنى ، فمن شاء ذكره ، لكنه عدل الى قوله ، اتعد الى ربه سبيلا ، لتوفيق بين الفواصل في هذه السورة ، إذ كانت مرادفة بباء أو راه ، ومنقطعة بالألف ، فحصل بالكتاب اتفاق المصير مع ملازمة الفواصل في الموصفين -

فالتصريح بالثبوت الذي يجب أن يكون عليه في الآية الأولى (كلا أنه تذكير ، فمن شاء ذكره) ، أي من شاء امتنع فيكون ذاكرًا له ، وإذا لم يستمع به فيكون كالبالي له ، وإذا جاء على هذه الصورة عاد التصريح في [ذكره] على المائد المذكور [تذكير] على المآلوف والمعتاد -

لكن التصريح القرآني اثر أن يؤث ما أصله أن يذكر ، وإن يبدل [تذكره] بـ [تذكير] وهذا بمعنى واحد تعديلًا لمقاطع ، ونسبًا من أجل الفواصل -

كذلك (فمن شاء اتعد الى ربه سبيلا) هي بمعنى [فمن شاء ذكره] وكانت في مكان بمافئة وفي آخر بمافئة تبعًا للمافئة الموجودة في كلا السورتين ، ومراعاةً للتناسب في كلا الموضعين -

٣ - الجمع بين المجزوات (٢٠) :

وذلك كقوله تعالى خطابًا لمشرّكين ، أم أستم أن يعيدكم فيه نارة أخرى فبرسل عليكم فاصصا من الرريح فيمرفكم بها كمرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيها (الإمراء ٦٩) -

فقد توالث المجزوات بالأحرف الثلاثة وهي اللام في [لكم] والياء في [به] ، وعن في [عبيا] ، وكان الأحص الفصل بينها لكن التصريح القرآني فصل ترك الفصل بين تلك الروابط لأن فواصل المسورة كلها

مصبوبة موزنة . فم يكر يد من تابع من كلمة [تيمنا] لتكون هذه الآية
سببة لهايات مائلها ومايهدا حتى تتناسق السورة كلها على صورة
واحدة . وإيقاع واحد .

٤ - حذف همزة او حرف (٢١) :

أما حذف الهمزة فكقوله تعالى . وإذا تنزل عليهم أيات بيأت قال
الذين كفروا لندين أموا أي للمريتين حين نقاب وأحسن مديا . وكم أهلكما
قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورثا . (مريم ٧٣ - ٧٤) .

فقد قرئت (رثا) على خمسة أوجه :

- (١) رثيا - وهو لنظر والهيئة فعل بمعنى معمول من (رايث) .
- (ب) ريتا - على العصب كقولهم [راه] أي [رأي] .
- (د) ريا - من الري - وهو النصب . من قولهم [ريان من المميم] .
- (هـ) ريا - على حذف الهمزة رأسا . (٢٢) .

فهذه القراءات الثلاث الأخيرة . قرئت على هذا الوضع لتتوافق المقاطع
وتتناسب الفواصل .

كما حذف يعرف الأخير من [يسر] في قوله تعالى . والمجر . وإلجال
عشر . والشمع والوتر . والليل أو يسر . هل في ذلك قسم لذي حجر .
(المجر ١ - ٥) - فقد عدت [الباء] من [يسري] وهي أصمية لرعاية
الفاصلة .

ويحكي عن ٤٠ حمشر أو الفرج سدوسي (٢٣) سله من حذف إياه
من [يسر] فقال لا أحييت حتى تمام على بابي ليبلغ فعمل فقال له
أن عادة العرب إذا عدلت بالشئ من مماء نقصت حروفه . والليل ما كان
لا يسري . وأب يسري فيه نقص به حرف كما في قوله تعالى . وكانت
أمك بغيا . (مريم ٢٨) والأصل (بحية) فلب حول ونقل عن فاعل نقص
به حرف .

كما حدثت ياء انككم من [يدين] ويسفري . يسفري . يعوير [من
قوله تعالى . قال أفرأيتم ما كنتم تعدون . أنتم وآبائكم الأقدمون فأنهم
عدوى إلا رب المسائلير الذي خلقني فهو بهسدي . ولذي هو يظلمني

ويستحقين ، وإذا مرصت فهو يشتمين والذي يشتمني ثم يحييني .
(الشعراء ٧٥ - ٨١) .

٥ - تأخير ما أصله أن يقدم :

وذلك كقوله تعالى : فأوحى في منبه خيمة موسى ، قلنا لا تحذف انك
أت الأمل . (طه ٦٧ . ٦٨) - وأصل الكلام فأوحى موسى في نفسه
خيمة وقدم المفعول على الماعل ، وفصل بين الفعل والماعل بالمفعول ، بحرف
الجر وجبروره ، قصد التحسين النظم ، رعاية الماصلة .

وقد أنكر ابن الأنثري (٢٤) رأي الرمضاني (٢٥) من أن تقديم المفعول
يعيد الاختصاص في مثل قوله تعالى في وصف أصحاب الجحيم : حدود فملوهم ،
ثم الجحيم صلوهم . ثم في سلسلة درعها سمعون دراعا فاسلكوهم .
(العنقا ٣٠ - ٣١) فقال : تقديم المفعول : الجحيم ، على المفعول
: صلوهم ، لم يكن للاختصاص ، وإنما للتفصيلا السجعية ، ولا مراء في أن هذا
الظم على هذه الصورة أحسن ما لو قيل : حدود . فملوهم . ثم صلوهم
الجحيم .

ثم بعد رعم الرمضاني . فيقول : فإن قيل : إنما قدمت [الجحيم]
للاختصاص ، لأنها بار عظيمة . ولو أحرث لجاء وقوع الفعل على غيرها .
كما يقال : شربت زهدا . وزهدا طهرت .

فالجواب أن الدرك الأسفل أعظم من الجحيم فكان يسمى أن يعص
بالذكر دون الجحيم . على ماذهب إليه . لأنه أعظم .

ثم يفتقر عليه في العبارة ويشتد في التضعيف ، فيقول

وهذا لا يذهب إليه إلا من هو بسيرة عن رموز فصاحة والطلافة .
وهكذا يقال في : سلسلة درعها سمعون دراعا فاسلكوهم ، فإن لم يقدم
(السلسلة) على (السلك) للاختصاص ، وإنما قدمت لكاء نظم الكلام .
ولا شك أن هذا أحسن من أن لو قيل : ثم اسلكوهم في سلسلة درعها سمعون
دراعا .

٦ - أفراد ما أصله أن يجمع :

وذلك لقوله تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر . وكل صغير وكبير
متطر ، أن المتقين في جنات ونهر ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

(القمر ٥٢ - ٥٥) - والأصل [أهار] واسا وحد لأنه رأس آية ، فقابل بالترعيد رؤوس الآيات - قال هذا الفراء -

وكقوله تعالى تعالى يمانى ، لشركيز لانعام الشيطان ، استنجدونه وذريته أولياء من دوس وهم لكم عدو - بسى لفظان بدلا ، ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت بعد المصلين قصدا ، (الكهف ٥٠ ، ٥١) .

قال بن سيدة في المحكم ٢٦ - أي أصعبا - واسا أفرد ليمدل رؤوس الآيات بالافراد .

٧ - جمع ما أصله إن يفرد : (٢٧)

وذلك كقوله تعالى . وحملو ته أبنادا ليصنوا من سبيته ، قل تمنوا فان مصركم الى النار قل لصادي الدين امنوا يقيموا الصلاة ويسقوا مما رزقناهم من وعاءه من قل أر يأتى يوم لا بيع فيه ولا حلال . (ابراهيم ٣٠ ، ٣١) فان المراد - ولا حلة - بدليل الآية الثانية . يأتىها الدين امنوا اسقوا مما رزقناكم من قل أر يأتى يوم لا بيع فيه ولا حلة ولا شعاعة . (البقرة ٤ و ٢) فجعلت في الآية الأولى لأجل ساسة رؤوس الآيات -

٨ - تثنية ما أصله إن يفرد : (٢٨)

وذلك كقوله تعالى : . ولن خالف مقام ربه حنار . فأتى الام ربكما تكذبان . فواتا أفنان . (الرحمن ٤٦ - ٤٨) -

قال الفراء المراد - [المختار] في الآية تلك حنة (٢٩) واحدة . كقوله تعالى . فان الحنة من الماوى . (السجرات ٤١) . فشى لأجل العاقلة والقوافي تحتل من الريادة القصار ما لا يحتل به الكلام .

ونظير ذلك قوله تعالى في قصة نوح . اذ انبعث أشقاها . (النسر ١٢) فأنهما رحلان قد ار وأخر معه . ولم يقل أشقيها لفافسلة .

ثم ان الفراء قال (٣٠) . وهذا باب مدغم العرب في تشية النعمة الواحدة . وجمعا . واستشهد بقول زهير :

ديار لها بالرقمتين كانها

مراجع وشم في نواشر مصمم (٣١)

هـ (الرقستان) مكانان واحد مكان واحد وشى على عادة العرب
في ذلك .

وقول الشريف المرتضى :

فقلولا لأهل المكتن تعاضدوا

وسعوا إلى اكمام يثرب والنفل (٣٢)

هـ [المكابر] مكه واحدة - على لتعصب والمراد مكه فقط وشئت
على عادة العرب في ذلك .

ثم إن الشاعر يشر بذلك اللفظ إلى تواجدها أو ثلاثتها من لها
وجهين وأنت إذا وصلته وطرقت إليها يصب وتسميها رأيت في كنف
الناحية ما يملأ عينك قوة . وصدرك صبرة .

فالأخبار الكريهة بث فيها [حبان] وأضماها [لاجل الداعية]
رعاية لئلا يفسد [أو يفسد] من على حد لورر والقواني يعتنق
في الريادة والنقصار مالا يحتسبه بقية الكلام .

لكن رأي الغراء هذه يثرب سارة من قبيله فيقول مشدداً حلفه
عنه (٣٣) . وهذا من أعجب ما حصل منه كتابه . ويشر بمورد أنه من
أن تنصف هذا التمسك أو يحرم على أنه الريادة والنقصار في الكلام لرأس
آية وإنما يحور في رؤوس الآي أن يزيد [هاء] للكت كقول
وما أدراك ما عبيد . أو [ألف] كقول . تطول ما الطلوسا .
أو تعدد مرة من العرب كقول . اثنا وثي . أو [ياء] كقول
. إذا يثر . لمستوى رؤوس الآي على مدح العرب في الكلام . لأن هذه
لا يزيل معنى عن جهته . ولا يزيد ولا ينقص .

فأما أن يكون وعد حشر فحفظهما حة واحدة من أصل رؤوس الآي
فمما لا شك فيه يكون هذا وهو تبارك يصنعها بصفة الاثنين فقال تعالى
« ذواتا أفتان » ثم قال « فيهما »

ولو أن قاتلاً قال في حربة السيف لهم عشرون وأما جعلهم
تسعة عشر وأما جعلهم تسعة عشر لرأس الآية كما قال الشاعر

● نحن بنو أم البنين الأربعة ●

واسما مع حسنة . فجعلهم للثقافية أربعة . ما كان هذا القول
الا كقول المراء » .

٩ - اختلاف الترتيب :

يحكي تعالى قصص الأولين للفترة والمنطة فيقول

« كذبت قسهم قوم نوح . وعدد وفرعون ذو الأوتاد . وثمود وقوم
لوط وأصحاب الأيكة . أولئك الأحزاب » . ان كل الا كذب الرسل فعق
عقاب » (ص ١٢ - ١٤) .

ويقول « كذبت قسهم قوم نوح وأصحاب الرمي وثمود وعداد
وفرعون وأخوان لوط . وأصحاب الأيكة وقوم نوح كل كذب الرسل فعق
وعيد » (ق ١٢ - ١٤) .

فما السب في اختلاف الترتيب في هاتين الآيتين ، ولماذا حتمت الآية
الأولى في سورة ص « (علق عقاب) . والثانية في سورة ق (فعق وعيد) .
والقسي في السورتين يكاد يكون واحدا ؟ .

السب في ذلك أن سورة (ق) مكية فواصلها من أن يردف امر حروف
سها بالياء أو بالواو . وعن ذلك جاءت جميع آياتها (ثمود لوط . وعيد)

وسورة (ص) مكية فواصلها على أن تردف أواخرها بالالف . ولذلك
كانت فواصل هذه السورة كلها من آية الثانية إلى الآية السادسة والستين .
وأواخرها تردف بالفاء مثل [شقاق . ماض . عجاب] . فجاءت هذه الآيات
بين هذه الفواصل على الفاصلة ذاتها [ذو الأوتاد . الأحزاب . عقاب] -
ولهذا اختلفت الآيات في فواصلها في سورتي (ص ق) . فكل فاصلة كانت
متعلقة مع فاصلة سورتها .

وأما اختلاف الترتيب لمواضع ففي آيات (٣٤) (ص) ذكر ستة اقوام .
وفي آيات (ق) ذكرت ثمانية . فهم ستة مكررة في كفتي الآيتين . ولم يقع
أحد منهم في ترتيب الآخر سوى (قوم نوح) فقد كان في صدر الآيتين .

والسبب في اختلاف هذا الترتيب هو الحفاظ على فاصلة كل آية مع
فواصل سورتها . ولم يعمل بقانون الترتيب في الآيات مراعاة لمواصل كل
سورة .

ويقول تعالى حكاية من سحرة فرعون : « وألقى السحرة ساجدين .
قلوا أما رب العالمين . رب موسى وهارون » (الأعراف ١٢٠ - ١٢٢) .

وفي مكان آخر يقول : « فلقى السحرة ساجدين . قالوا أما رب
العالمين ، رب موسى وهارون » (الشعراء ٤٦ - ٤٨) .

وفي مكان ثالث : « قلنا لا تعبدوا آلهة الأبواب . حيث أتى .
فلقى السحرة سجداً . قالوا أما رب هارون وموسى » (طه ٦٨ - ٧٠) .

فمناداة اجتماعت المواسل في الآيات الكريمة فجاء في موضع : « رب
هارون وموسى » وفي آخر : « رب موسى وهارون » ؟ .

السبب في ذلك أن المواسل في سورة (الأعراف) بيث على
[المياه والنبوء] أو [الواو والنبوء] وكذلك سورة (الشعراء) ، ولهذا
قدم [موسى] فيهما حتى تكون الماصلة [هارون] بالواو والنبوء كالأيات
قبلها . فيتم التساق بين المواسل ويتمد الإيقاع .

أما في سورة (طه) فالماصلة بيث على الألف في هذه الآيات . ولهذا
قدم [هارون] وأخر [موسى] حتى تتسق المواسل . وتتجاسر أوامر
الآيات .

ولما كان القصد حكاية معنى في سورة (طه) لا أداء اللفظ على جهته
- كما سبق في سورتي الأعراف والشعراء - حذف منها [رب العالمين]
استخداماً منها بما دل عليها من قبل .

وقد نقل صاحب الانتقان أن الشيخ شمس الدين بن الصائغ العنفي
الف كتباً سماها [أحكام الرأى في أحكام الأئمة] . وقال فيه

« أعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يرتك لها أمور من
معالجة الأصول . وقد تمتع الأحكام التي وقعت في أمر الأئمة مراعاة
للمناسبة . فشرت منها على مايفي عن الأربعم حكماً » .

وقد أوجرها البيهقي في صحتين ثم حسنها بقول ابن الصائغ

« قال ابن الصائغ لا يمتنع في توجيه المخرج من الأصل في الآيات
المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة ، فإن القرآن العظيم - كما جاء في
الأثر - لا تنقضي عجائبه » .

الفاصلة ليست مجرد توافق الفاظ :

من الباحثين من ينظر الى الفاصلة - أو السجع - في الكلام عامة على أنه مناسبة لغوية مرغوبة ، ومطلوبة في اللغة العربية ، فهي تريح القارئ من اليهر ، وترشده الى تلوين الصورة . واجادة الوقت ، وتزيد من روعة التلاوة ، بما تخلع عليها من إيقاع محبب . وتمد القارئ بالوان من التنغيم المؤثر والتطريب الأخاذ .

وهذا ان صدق في سجع الكتاب ، فلا يصدق اسلاقا على الفاصلة في القرآن الكريم ، فملينا ألا ننظر الى بلاغة الفاصلة في القرآن هذه النظرة المحدودة التي لا تكاد تتجاوز الألفاظ والصيغ . فان هذه الصورة اللغوية العسية مع جمالها لا يصح أن تصرفنا ، ولا تحجب عن ذهننا ما اشتر فيها من بدائع الأسرار . ودقائق الأغراض .

فالفاصلة في القرآن الكريم لها مزية عامة ترتبط بما قبلها من الكلام بحيث تتحد على الأسجاع انحدارا . وكان ما سبقها لم يكن الا تمهيدا لها . وبعث اذا حذفنا لاختل المعنى في الآية ، ولو سكت عنها القارئ ، لاستطاع السامع أن يختمه بها انسياقا مع الطبع ، والذوق السليم (٣٦) .

فليست قواصل القرآن مجرد توافق الفاظ وأوزان . بل لها علاقة وثيقة بما قبلها من نص في الآية ، وقد أبرز ذلك العلماء لدى تعريفهم للفاصلة .

فقال الرماني : (٣٧) القواصل . حروف متشاكلة في المقاطع . توجب حسن افهام المعاني . وقال الباقلائي : (٣٨) القواصل . حروف متشاكلة في المقاطع ، يقع بها افهام المعاني .

ونحن نحس عندما نسمع القرآن الكريم أو نتلوه أن لهذه القواصل لغات نفسية ومعنوية ، وإيقاعا يعطي الإنسان روحا ، ويحس عندها بمتعة فنية مؤثرة ، تثبت في الفؤاد الطمانينة والارتياح .

ولعل الفاصلة مأخوذة من قول الله تعالى : « كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » (فصلت ٣) . وبها يتم المعنى ، ويزداد وضوحا وجلال . ومكانتها من الآية مكان الثقافية من البيت .

المراجع

- ١ - اعجاز القرآن : للباقلاني تحقيق سيد صقر - القاهرة دار المعارف ١٩٧٢م القاهرة .
- ٢ - الالتفات في علوم القرآن : للسيوطي - النسخة القديمة ط التجارية القاهرة - ١٣١٨هـ .
- ٣ - الأمالي : للشريف المرتضى - بيروت د٠ ت .
- ٤ - البرهان في علوم القرآن : للزركشي - تحقيق محمد أبو الفضل القاهرة ١٩٥٧م .
- ٥ - البديع في أساليب القرآن : د٠ عبد الفتاح لاشين - ط - دار المعارف القاهرة ١٩٧٣م .
- ٦ - الخصائص : لابن جني - تحقيق الشيخ النجار - القاهرة ١٩٥٢م د٠ ت .
- ٧ - درة التنزيل وثمره التأويل : للمعطبي الاسكافي - ط بيروت والقاهرة ١٩٠٩م .
- ٨ - سر الفصاحة : لابن سنان الفناي تحقيق الشيخ عبد المتعال القاهرة د٠ ت .
- ٩ - شرح القصائد السبع - والتسع : للأنباري - ابن النحاس - بغداد ١٩٧٣م .
- ١٠ - الصناعتين : لأبي هلال العسكري ط استانبول د٠ ت .
- ١١ - مروس الأفراس : للبهام السبكي - ضمن شروح التلخيص - القاهرة د٠ ت .
- ١٢ - القرطبي : لابن مطرف الكتاني ط - الغانمي - القاهرة د٠ ت .
- ١٣ - الكتاب : لسيبويه - القاهرة - د٠ ت .
- ١٤ - الكشف : للزمخشري - القاهرة د٠ ت ١٩٧٣م .
- ١٥ - المثل السائر : لابن الأثير - تحقيق د٠ بدوي طيانة والحوفي - القاهرة .
- ١٦ - الأزهر : للسيوطي - القاهرة د٠ ت .
- ١٧ - مفتاح العلوم : للسكاكي - القاهرة د٠ ت .
- ١٨ - معترك الأفران : للسيوطي تحقيق الجاوي - القاهرة ١٣٩٢هـ .
- ١٩ - المحكم : لابن سيده - القاهرة د٠ ت .
- ٢٠ - التكت في اعجاز القرآن : للرماني - ضمن ثلاث رسائل في الاعجاز - القاهرة دار المعارف .

الهوامش

- ١ - حصر السور المكية والمدنية فيها خلال ، وهذا القول هو أحدها .
- ٢ - البديع في ضوء أساليب القرآن ١٢٤ -
- ٣ - الكتاب ج٢/ ٢٩٨ -
- ٤ - سر القصاصة ١٦٥ وما بعدها .
- ٥ - كما في الفاصلة ، ومآلها من فروع ، (ق ٦) -
- ٦ - التكت في اجاز القرآن للرماني ٩٧ -
- ٧ - اجاز القرآن للبلخاني ٥٨ -
- ٨ - الصناعتين ٢٦٦ -
- ٩ - سر القصاصة ١٦٦ -
- ١٠ - المثل السائر ج١/ ٣٣٣ وما بعدها .
- ١١ - البديع في ضوء أساليب القرآن ١٤٢ -
- ١٢ - الفتاح ٢٠٣ ، قال السكاكي : « ومن جهات الصن الاسجاع ، وهي في النشر كما في القوافي في الشعر » -
- ١٣ - البرهان ج١/ ٧١ - (القفو) جمع مثل : الضنود والقدي ، وقالوا : اني لانيك بالندايا والمعشاي ، والنفاء لا تجمع على الندايا ، ولكتهم كبروه على ذلك ليضابقوا بين لفظة ولفظ المتشاي ، فلذا ابروه لم يكبروه ، (اللسان مادة فدا) -
- ١٤ - البرهان ج١/ ٧٥ -
- ١٥ - عروس الافراح ج١/ ٤٤٩ -
- ١٦ - الاستاذ/ حاتم عبد القادر -
- ١٧ - البرهان ج١/ ٦١ -
- ١٨ - الفصائل ج٢/ ٢٩٢ ، الزهر ج٢/ ٢٣٣ -
- ١٩ - انظر في هذا البرهان ج١/ ٦٥ ، حرة التنزيل ٥٠٧ -
- ٢٠ - البرهان ج١/ ٦٢ -
- ٢١ - البرهان ج١/ ٦٢ -
- ٢٢ - الكشاف ج٢/ ٧٥ -
- ٢٣ - البرهان ج٢/ ١٠٧ -
- ٢٤ - المثل السائر ج١/ ٢١٩ -
- ٢٥ - الكشاف ١٥٣/٣ -
- ٢٦ - المعجم ج١/ ٢٤١ -
- ٢٧ - البرهان ج١/ ٦٣ ، ٦٤ -
- ٢٨ - نفسه ٦٤ -
- ٢٩ - الالتقان ج٢/ ٢٩٩ - تحقيق : ابو الفضل -
- ٣٠ - القرطبي ج٢/ ١٤٩ -

- ٢١ - اترفتان : مكانان أحدهما قرب المدينة ، والآخر قرب البصرة ، الوشم :
 ان يثقب ظاهر الذراع بإبرة ثم يملأ بالكحل ليخضر ، فقد شبه الناس
 الديار بالوشم الذي أعيد وكرر ، النواشر : عروق ظاهر الذراع - وقيل :
 الظاهر والباطن (شرح التصانيد السبع للآتياري ٢٢٨) - لكن الفراء
 يقول : انها واحدة ثم تثبت على عادة العرب في ذلك .
- ٢٢ - اراد به (الكتفين) مكة والمدينة ، فقلب (أمالي المرتضي ج٢/ ١٤٨)
 لكن الفراء يرى انها مكة واحدة ثم تثبت على عادة العرب .
- ٢٣ - القرطبي ج٢/ ١٥٠ ، الاتقان ج٢/ ١٠٠ .
- ٢٤ - في سورة (ص) : قوم نوح ، وعاد وفرعون ذو الأوتاد ، ولمود وقوم
 لوط ، وأصحاب الأيكة .
- وفي سورة (ق) : قوم نوح ، وأصحاب الرس ، ولمود ، وعاد وفرعون ،
 وأخوان لوط ، وأصحاب الأيكة ، وقوم تبع .
- ٢٥ - الاتقان ج٢/ ٩٩ ، ١٠٠ ، المتراك ج١/ ٢٢ ، ٢٧ .
- ٢٦ - البديع في ضوء أساليب القرآن ١٤٣
- ٢٧ - التكت في أمجاد القرآن ٨٩
- ٢٨ - أمجاد القرآن ٢٧٠